تَـتَـحَـيّـرُ الأَفْـعَـالُ فـي أَفْـعَـالِـهِ،
وَيَـقِـلُّ مَـا يَـأْتِـيـهِ فـي إِقْـبَـالِـهِ(١)
قَـمَـراً نَـرَى وَسَـحَـابَـتَـيْـنِ بِـمَـوْضِـعٍ
مِـنْ وَجْـهِـهِ وَيَـمِـيـنِـهِ وَشِـمَـالِـهِ(٢)
سَـفَـكَ الـدِّمَـاءَ بِـجُـودِهِ لا بَـأْسِـهِ
كَـرَمـاً لأَنَّ الـطَّـيْـرَ بَـعْـضُ عِـيَـالِـهِ(٣)
إِنْ يُـفْـنَ مَـا يَـحْـوِي فَـقَـدْ أَبْـقَـى بِـهِ
ذِكْـراً يَـزُولُ الـدَّهْـرُ قَـبْـلَ زَوَالِـهِ(٤)

أبت بالحاجة مقضية

وسأله أبو الطيب حاجة فقضاها له فنهض وقال: [السريع]

قَـدْ أُبْـتُ بِـالْـحَـاجَـةِ مَـقْـضِـيَّـةً
وَعِـفْـتُ فـي الْـجَـلْـسَـةِ تَـطْـوِيـلَـهَـا(٥)

= الخمرة، ولو سُئِلَ لأعطى سواه من ماله أكثر ممَّا يعود عليه من نفعه، ولو أنه سأل نفسه لكان نفعه نفسه أكبر وأكثر.

(١) إن الممدوح مثار اندهاش الناس، فهم في حيرة ممَّا يفعله لكثرة ما يفعل من خير وقلّة من يفعلون، ولو علموا أن ما يفعله بإمكانه أن يفعل أكثر منه بكثير لما كان لعجبهم حدّ ممَّا يفعل.

(٢) يمدح الشاعر ممدوحه؛ إنه قمر ينشر الأنس في ظلمة الحياة والضياء في عتمة جَوْر الطبيعة والإنسان لأخيه الإنسان، لذا فيداه تسحّان الخير بوفرة لأوليائه وأصحابه، كما تنشران الموت والدمار والخسف لأعدائه.

(٣) سفك: سفح. الجود: الكرم. البأس: الشدّة. العيال: هم من يقوم المرء بأودهم وطعامهم. إنه يقتل أعداءه ليجعل جُثثهم طعماً لجوارح الطير التي اعتادت على أعماله البطولية، ولها حقّ عليه أن يُعيلها باستمرار ليؤمن لها الحياة من جثث قتلاه.

(٤) يُقرّر الشاعر حقيقة مفادها أنه قد يفتقر الممدوح ويفنى ماله، ولكنّ ذكرى الممدوح لن تفنى لأنه يمثل نموذجاً حيًّا، والأيام تمرّ ورغم ذلك من كتب ذكره في ذاكرة الوجود فلن تنساه البشرية رغم تبدّل الأحوال ومرور الأيام.

(٥) آب: رجع. عاف: كره. يُنوّه الشاعر بأنه قد حصل على ما يُريد من الأمير، فرجع =

أنـــتَ الـــذِي طُـــولُ بَـــقَـــاءٍ لَـــهُ
خَـيْـرٌ لِـنَـفْـسِـي مِـنْ بَـقَـائِـي لَـهَـا(١)

وإذا أتتك مذمتي من ناقص

يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد اللَّه بن الحسين الأنطاكي:

[الكامل]

لَـكِ يَـا مَـنَـازِلُ فِـي الْـقُـلُـوبِ مَـنَـازِلُ
أَقْـفَـرْتِ أَنْـتِ وَهُـنَّ مِـنْـكِ أَوَاهِـلُ(٢)
يَـعْـلَـمْـنَ ذَاكَ وَمَـا عَـلِـمْـتِ وَإِنَّـمَـا
أَوْلَاكُـمَـا يُـبْـكَـى عَـلَـيْـهِ الْـعَـاقِـلُ(٣)
وَأَنَـا الَّـذِي اجْـتَـلَـبَ الْـمَـنِـيَّـةَ طَـرْفُـهُ
فَـمَـنِ الْـمُـطَـالَـبُ وَالْـقَـتِـيـلُ الْـقَـاتِـلُ(٤)

= راضياً، ولم يكن مكوثه في قصر الأمير طويلاً، فقد لبّى طلبه دون تردّد وبأسرع ما يمكن، وكان يتوقّع أن يطول انتظاره، وهو يكره ذلك.

(١) يُخاطب الشاعر ممدوحه بأن مكوثه إلى جانبه خير له وأحبّ إلى نفسه من استمرار بقائه لحصوله على ما أراد من قضاء حاجته.

(٢) يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بمطلع غزلي. يُخاطب الشاعر الديار لقد خلت من ساكنيها، فارتحلوا وتركوها قفراء يُخيّم عليها الكآبة والحزن، وقد حلّت في القلوب، لأنها في الأصل مساكن الأحبَّة، فالقلوب مفعمة بالذكريات الحلوة، وفي إحدى زواياها ركن خاصّ بحبيبته لا تنفكّ متربّعة على عرشه.

(٣) يروى «ببكى» بالباء بدلاً من «يبكى» بالياء. يُردف الشاعر أن الديار لا تدري ما حلّ بها ولذا فإنها لا تبكي، بينما يعلم قلب الشاعر ما ألمّ وحلّ فيه، وهو الأوجب بالبكاء، رثاءً لحاله لمعاناته ألم الفراق.

(٤) اجتلب: أتى بالشيء. المنية: الموت. الطرْف، بسكون الراء: النظر. ينعى الشاعر على نفسه ما جرّته عليها، فقد أوقع نفسه في المعاطب من أجل نظرة أودت به إلى سوء العاقبة، ويسأل عن صاحب الجريرة ليطالب بدم المقتول، وهو من فعل بنفسه ما فعل.